﴿وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٢٥﴾ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٢٦﴾﴾ [الصّافّات: 123 - 126]

❁ مُناسَبَةُ الآياتِ لِما قبلَها:

لَمّا دَرَسَتْ بعضَ أحكامِ التَّوراةِ؛ أرسلَ اللهُ إلياسَ مُجدِّدًا لها

لَمّا كان إلياسُ عليه السلام أعظمَ المتجرِّدين مِن أتْباعِ موسى وهارون عليهما السلام، المُجدِّدينَ لما دَرَسَ من أحكامِ التَّوراة، وكان ترْكُ أحكامِها - مع ما وُصِفتْ به من البيان، وما دعتْ إليه مِنَ الاسْتقامةِ - في غايةٍ من الضَّلالِ تكادُ ألّا يُصدَّق مثلُها، أشارَ إلى الزَّيْغِ عنه بيانًا منه تعالى؛ لأنَّ القلوبَ بيدِه ﷻ، فقال مُؤكِّدًا: ﴿وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾، ذاكرًا قصَّتَهُ مع قومِه في دعوتِهم إلى اللهِ وحدَه لا شريكَ له[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿إِلْيَاسَ﴾: ألِسَ، وإلياس، وألياس، عَلَمٌ أعجميٌّ، تفنّنت به العربُ، فقطعتْ همزتَه تارةً، ووصَلَتْها أخرى، وقالوا فيه: إلياسين كجِبرائين، وقيل: اسْمُه ياسين، ثمَّ دخلت عليه (ال) المعرفة، وهو على وزنِ (إفعال)، الفاء والعين تقابلُ اللّامَ والياءَ والسّين، من قولهم: رجلٌ ألِسٌ، وهو الشُّجاع الَّذي لا يفرُّ[2]، وقيل: هو من أيَسَ، والدّاعي إلى تسميتِه بهذا الاسْمِ ما سبقَ في عِلم اللهِ أنَّه ييأسُ ممَّن يدعوهم إلى اللهِ، فيكون ممَّن يأتي يومَ القيامةِ وما معه إلّا الواحدُ والاثْنانِ[3]، وقولُه تعالى: ﴿وَإِنَّ إِلْيَاسَ﴾، أي: نبيٌّ مِن أنبياءِ بني إسرائيل، وهو إلياسُ بن إلياسين

(1) البقاعيّ، نظم الدُّرر: 16/ 282، 283.
(2) الفيروزابادي، القاموس المحيط، والرّازيّ، مختار الصّحاح: (ألس).
(3) البقاعيّ، نظم الدُّرر: 16/ 283.

من سبط هارون أخي موسى ﷺ، وقيل: هو إدريس، نحو إسرائيل ويعقوب[1]، والأوّل أوْلى[2].

2) ﴿بَعْلًا﴾: (بعل) أصولٌ ثلاثةٌ، فالأوَّلُ: الصّاحبُ، يقال للزَّوج بَعْلٌ، وكانوا يُسمّون بعضَ الأصنامِ بَعلًا، ومن ذلك البِعالُ: وهو ملاعبةُ الرَّجلِ أهلَه، والبَعْلُ بمعنَى المالكِ والسَّيِّدِ، والأصلُ الثّاني: جِنْسٌ من الحَيْرَة والدَّهَش، يقالُ: بَعِلَ الرَّجلُ؛ إذا دَهِش، والأصلُ الثّالثُ: البَعْلُ من الأرض: المرتفعةُ الَّتي لا يصيبُها المطرُ في السَّنَة إلّا مرَّةً واحدة، وممّا يُحمَلُ على هذا الباب الثّالث: البَعْلُ، وهو ما شربَ بعروقِه من الأرض من غيرِ سَقْيِ سماء[3]، وقولُه تعالى: ﴿أَتَدْعُونَ بَعْلًا﴾، أي: صنَمًا كانوا يعبدونه[4]، ويجوزُ أن يُراد بالبَعْل: الرَّبُّ، أي: ربًّا[5]، ويمكنُ أنَّهم سَمَّوا أصنامَهم بَعْلًا لهذا المعنى، فيكون في هذا جمعٌ بين القولَيْنِ في البَعْلِ.

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

رسالةُ إلياسَ ﷺ دعوةُ بني إسرائيلَ إلى عبادةِ اللهِ وحدَه

يخبرُ اللّهُ تعالى عن رسولِه إلياس ﷺ، وقد بعثَهُ في بني إسرائيل، وكانوا قد عبَدوا صنَمًا، يقال له: بَعْل، فدعاهم إلى اللّهِ تعالى، ونهاهم عن عبادةِ ما سواه، وأمرَهم بتقوى اللّهِ والخوفِ منه، فقال لهم: ألا تخافونَ اللّهَ ﷻ في عبادتِكم غيرَه، وتتركونَ عبادةَ اللّه الَّذي خلقَ كلَّ شيءٍ على أحْسنِ جهةِ التَّمام، وهو المُستحِقُّ للعبادةِ وحدَهُ لا شريكَ له، وهو ربُّكم الَّذي خلقَكم وخَلقَ آباءكمُ السّابقين[6].

(1) الماورديّ، لباب التّأويل: 5/ 64، والبغويّ، معالم التّنزيل: 4/ 36، وابن الجوزيّ، زاد المسير: 7/ 79.
(2) السَّمين، الدُّرُّ المصون: 9/ 326، والشَّوكانيّ، فتح القدير: 4/ 538.
(3) ابن فارس، مقاييس اللُّغة، والأزهريّ، تهذيب اللُّغة، والرَّاغب، المفردات: (بعل).
(4) القرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن: 15/ 117.
(5) ابن جرير، جامع البيان: 13/ 91، والماورديّ، النُّكت والعيون: 5/ 64.
(6) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 4/ 18.

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

فائدةُ عَطْفِ ذِكرِ إلياسَ على سابقيه:

تسليةُ الرَّسول ﷺ وإنـــذارُ الكافرين مُبيَّنةٌ في المراد المستفاد

لَمّا ذكر النَّظمُ الكريمُ نوحًا وإبراهيمَ وموسى عليهم السلام، وما لَقوه من قومِهم؛ أَتْبَعَهم بذِكر قصَّةِ إلياسَ بصفةِ الرَّسول؛ لأنَّهم عليهم السلام سواءٌ في مرتبةِ الدَّعوةِ إلى دين اللّه؛ ليكونَ في ذلك شواهدُ لتسليةِ رسولِ اللّه ﷺ، وقوارعُ من الموعظةِ لكفّارِ قريشٍ؛ ليرعَووا عمّا هم عليه مِنَ الكفرِ والعنادِ، وليكفّوا أيديَهم عن إيذاءِ الرَّسولِ والمؤمنين به[1].

نُكْتَةُ تأكيد الجملة بـ(إنَّ):

إثـارةُ الاهتمامِ بـكـونِ إلـيـاسَ رسولًا مُبلِّغًا عنِ اللّه، مفيدٌ لبيان مقامِه

أتبع الكلام على رسل ثلاثة أصحاب الشرائع: نوح وإبراهيم وموسى بالخبر عن ثلاثة أنبياء وما لقوه من قومهم وذلك كله شواهد لتسلية الرسول محمد ﷺ وقوارع من الموعظة لكفار قريش. وابتدئ ذكر هؤلاء الثلاثة بجملة ﴿وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾؛ لأنَّهم سواء في مرتبة الدعوة إلى دين اللّه، وفي أنَّهم لا شرائع لهم. وتأكيدُ إرسالهم بحرف التأكيد للاهتمام بالخبر؛ لأنَّه قد يُغفل عنه إذْ لم تكن لهؤلاء الثلاثة شريعةٌ خاصَّةٌ[2].

دلالةُ اللّام في قوله: ﴿لَمِنَ﴾:

اللّامُ في قوله تعالى: ﴿لَمِنَ﴾ هي المزَحْلَقةُ[3]، ووظيفتُها تأكيدُ الخبرِ في ذهنِ المخاطَب، والاهتمامُ بمضمونِه، وإزالةُ الزَّيغِ عنِ القلوبِ في شأنِه[4].

دلالةُ الحرف (مِنْ) في السّياق:

بـيـانُ صـفـةِ الرَّسولِ لإلياسَ عليه السلام

(مِنْ) في قوله تعالى: ﴿لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ تبعيضيّة، أي: أنّه من جملة الذين أُرسلوا إلى الأمم لتبليغ رسالات اللّه وأوامره وأحكامه،

(1) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 23/ 165.
(2) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 23/ 166.
(3) درويش، إعراب القرآن وبيانه: 8/ 306.
(4) البقاعيّ، نظم الدُّرر: 16/ 283.

فإلياس ﷺ رسولٌ كمَن تقدَّمَهُ مِنَ الرُّسُلِ، وصاحبُ رسالةٍ من ربِّهِ ودعوةٍ إلى عبادةِ اللّهِ وحدَه لا شريك له[1].

دلالة (ال) في لفظ ﴿ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾:

اسْتحقاقُ صفةِ الرّسالةِ لمَن دعا إلى عبادةِ اللهِ واجْتنابِ الطّاغوت

(ال) في ﴿ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾ جنسيّةٌ للاستغراق، تُفيد اتّصافه بكمال صفة الرّسالة، لأنَّه أُمِرَ من جانبِ اللّهِ تعالى بتبليغِ مُلوكِ إسرائيلَ أنَّ اللّهَ غضبَ عليهم من أجلِ عبادةِ الأصنام، فإطلاقُ وصفِ الرَّسولِ عليه مثلُ إطلاقِهِ على الرُّسل إلى أهلِ أنطاكيَّةَ المَذكورين في سورة يس[2]، وإلياس "من أنبياء بني إسرائيلَ من بعد زمن سليمان، أرسله اللّهُ لمّا انتشرت الوثنيَّةُ في الإسرائيليّين، وساعد على انتشارها بينهم ملوكُهم، وبَنَوا لها المذابحَ، وعبدوها من دونِ اللّه تعالى، ونبذوا أحكام التَّوراة ظِهريًّا، فقام إلياسُ ﷺ يوبِّخُهم على ضلالهم، ويدعوهم إلى التَّوحيد، ويُسمَّى في التَّوراة (إيليا) وله نبأٌ فيها كبيرٌ"[3].

دلالةُ الأداة ﴿إِذۡ﴾ في السّياق:

﴿إِذۡ﴾ في قولِه تعالى: ﴿إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦٓ﴾ ظرفٌ بمعنى (حين) متعلِّقٌ بـ ﴿ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾، أي: إنَّهُ من حين ذلك القولِ كان مبلِّغًا رسالةً عنِ اللّهِ تعالى إلى قومِه[4].

معنى اللّام في قوله: ﴿لِقَوۡمِهِۦٓ﴾:

بيانُ دعوةِ إلياسَ ﷺ قومَهُ لتوحيدِ الله

اللّامُ في قوله تعالى: ﴿لِقَوۡمِهِۦٓ﴾ للتّبليغ أو التّعليل[5]؛ أي: قام إلياسُ ﷺ، داعيًا قومَه إلى نَبْذِ عبادةِ بَعْلِ الصَّنم، وإفرادِ اللّهِ بالعبادة، وهو تعالى يمدحُه بالنُّبوَّة والرِّسالة، والدَّعوة إلى اللّه،

(1) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 23/ 166.
(2) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 23/ 166.
(3) القاسميّ، محاسن التّأويل: 8/ 225.
(4) السَّمين، الدُّرُّ المصون: 9/ 327، وابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 23/ 166.
(5) الشّهاب، حاشية على تفسير البيضاوي: 5/ 47.

وأنَّه أمرَ قومَهُ بالتَّقوى، وعبادةِ اللّه وحدَه، ونهاهم عن عبادتهم صَنَمًا لهم يقال له: (بعل)، وتَرْكِهم عبادةَ اللّه الَّذي خلق الخَلْقَ، وأحسنَ خَلْقَهم، وربّاهم، فأحسنَ تربيتَهم، وأدرَّ عليهمُ النِّعمَ الظّاهرةَ والباطنة"[1].

نُكتةُ إضافةِ القومِ إلى ضميرِه عليه السلام:

إضافةُ القومِ إلى ضميرِ إلياسَ عليه السلام في قولِه تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ﴾؛ لبيانِ أنَّ قومَه هم بنو إسرائيل، وأنَّه رسولٌ من بني إسرائيل، مِن سلالةِ يعقوبَ عليه السلام.

بلاغةُ الاستفهامِ في قوله: ﴿أَلَا تَتَّقُونَ﴾:

قولُه تعالى: ﴿أَلَا تَتَّقُونَ﴾ استفهامٌ إنكاريٌّ، أي: قال إلياسُ عليه السلام لبني إسرائيل مُنكِرًا عليهم ما مِن حقِّه الإنكار: ألا يوجَدُ منكم تقوًى وخوفٌ، فإنَّ ما أنتُم عليه يقتضي شرًّا طويلًا، وعذابًا وبيلًا، وما أنتم عليه من السُّكونِ والدَّعَةِ يقتضي أنَّه لا خوفَ عندَكم أصْلًا، وذلك غايةُ الجهلِ والاغترارِ بمَن تعلمون أنَّه لا خالقَ لكم، ولا رازقَ غيرُه[2]، ولا يملك أحدٌ لنَفْسِه ولا لكم نفعًا ولا ضرًّا، ولا موتًا ولا حياةً ولا نُشورًا، وهذا إنكارٌ عليهم وتقبيحٌ وتوبيخٌ، بغرضِ الكفِّ عن عبادةِ غيرِ اللّهِ تعالى.

إنكارُ عدمِ تقواهم تشنيعٌ لعبادتِهم الصَّنمَ لعلَّهم يتَّقون

دلالةُ التَّعبيرِ بـ ﴿تَتَّقُونَ﴾ منفيًّا:

(لا) في قوله: ﴿أَلَا تَتَّقُونَ﴾ نافيةٌ، بيَّنَتْ عدمَ تقواهم، أي: لا تتَّقونَ اللّهَ بعبادتِكمْ لبَعْل الصَّنَم[3].

والتَّقوى: حِفظُ الشَّيءِ ممّا يُؤذيه، ويَضُرُّه، فهي جَعْلُ النَّفْسِ في وقايةٍ ممّا يُخاف، قال تعالى: ﴿فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ﴾ [الإنسان: 11][4]،

ضرورةُ الاستمرارِ في وقايةِ النَّفْسِ ممّا يخالفُ عبادةَ اللهِ وحدَهُ

(1) السّعديّ، تيسير الكريم الرّحمن، ص: 707.
(2) البقاعيّ، نظم الدُّرر: 16/ 284.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 23/ 166.
(4) الرّاغب، المفردات: (وقَى).

وجاء الفعل ﴿تَتَّقُونَ﴾ من قولهِ تعالى: ﴿أَلَا تَتَّقُونَ﴾ بصيغةِ المضارع منفيًا بعد الاسْتفهامِ الإنكاريِّ؛ للدَّلالةِ على أنَّ قومَ إلياسَ ﷺ، كان عدمُ التَّقْوى منهم متجدِّدًا مستمرًّا، ولذلك نهاهم ﷺ عن الاسْتمرارِ في بُعدِهم عنِ التَّقْوى، وأمرهم بديمومةِ الالتزامِ بالتَّقوى، وعدمِ عبادةِ الصَّنم (بَعْل).

نُكْتَةُ حذفِ مفعولِ ﴿تَتَّقُونَ﴾:

مَنْ يَعبُد صنمًا، لا يكون من المتَّقين

حُذِفَ مفعولُ ﴿تَتَّقُونَ﴾ من قوله تعالى: ﴿أَلَا تَتَّقُونَ﴾؛ لدلالةِ ما بعدَه عليه، وهو قوله تعالى: ﴿أَتَدْعُونَ بَعْلًا﴾، أي: أتتركون اللّه الخالق العظيم وتعبدون صَنمًا[1]؟ والمعنى: "إذْ قالَ لِقَوْمِهِ حين انحرفوا عن سُبُلِ السَّلامة وطُرقِ الاستقامة، بالظُّلم على عباد اللّه، والخروجِ عن مقتضيات حدوده: ألا تَتَّقونَ اللّه، وتحذرون من بطشِه أيُّها المفسدون المُفْرِطون في الإشراك باللّه، والدَّعوة إلى غير اللّه؟"[2].

نُكْتَةُ فصلِ قوله: ﴿أَتَدْعُونَ بَعْلًا﴾:

عدمُ التَّقْوى مدعاةٌ لعبادةِ غيرِ الله

لمّا كان الإنكارُ في قولِه تعالى على لسان إلياس ﷺ: ﴿أَلَا تَتَّقُونَ﴾ سببًا للإصْغاء من جهة قومه؛ فقد كرَّره مستأنفًا موضّحًا بسببه، فقال: ﴿أَتَدْعُونَ بَعْلًا﴾، أيْ: إلهًا ورَبًّا، فَمَنْ لم يتَّقِ، ويتَّبِعِ الحقَّ؛ يعبُدْ صنَمًا جمادًا لا يضرُّ، ولا ينفع[3]، فالفصل لكمال الاتِّصال؛ لأنَّ الاستفهام مؤكِّدٌ لمضمون ما قبله.

بلاغةُ الاستفهامِ ونوعُه وغَرَضُهُ:

إنكارُ عبادةِ الصَّنَمِ لرَدْعِ عُبّادِه، كي يعبدوا اللهَ وحدَه

قوله تعالى: ﴿أَتَدْعُونَ بَعْلًا﴾ اسْتفهامٌ إنكاريٌّ توبيخيٌّ، جاء تعقيبًا على إنكارِه عليهم عدمِ تقواهم؛ ليُبيِّنَ أنَّ عدمَ التَّقوى سببٌ

(1) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 23/ 166.
(2) نعمة الله علوان، الفواتح الإلهيّة والمفاتح الغيبيّة: 2/ 221.
(3) البقاعيّ، نظم الدُّرر: 16/ 284.

للضَّلالِ في اتِّخاذِ معبودٍ مُزيَّفٍ، غيرِ المعبودِ بحقٍّ، وهو اللّهُ وحدَه لا شريكَ له، فلا بدَّ مِنَ التَّقْوى للعَوْدِ للحقِّ والتزامِه[1].

نُكْتَةُ التَّعبيرِ بالمضارع (تَدْعونَ):

اسْتِمرارُ بني إسرائيلَ في عبادةِ الصَّنمِ تعبيرٌ عن المآلِ المُحتَّم

عبَّر النَّظمُ الكريمُ بالفعلِ المضارع (تَدْعونَ) في قوله: ﴿أَتَدْعُونَ بَعْلًا﴾؛ للدَّلالةِ على تجدُّدِ عبادتِهم لذاكَ الصَّنمِ واسْتمرارِها، ولذلك جاء بعد الاسْتفهامِ الإنكاريِّ بهذه الصّيغة؛ مبالغةً في بيانِ إصرارِهم على عبادتِه.

نُكْتَةُ تنكيرِ لفظ ﴿بَعْلًا﴾:

ازْدراءُ عبادةِ صنمٍ لا روحَ فيه، تحكيمٌ للمنطقِ النَّزيه

جاء تنكيرُ ﴿بَعْلًا﴾ في قوله: ﴿أَتَدْعُونَ بَعْلًا﴾؛ للدَّلالة على ازْدراءِ فِعلِهم وتقبيحِه؛ إذْ يعبدون صنمًا لا يخرجُ عن كونِه جمادًا من الجماداتِ المصنوعةِ بأيديهم لا قيمةَ لها ولا منزلة، فهي مصنوعةٌ لا صانِعة، محكومةٌ لا حاكِمة، جامدةٌ لا حياةَ فيها.

معنى الواو في قوله: ﴿وَتَذَرُونَ﴾:

اسْتمرارُ بني إسرائيل في تركِ عبادةِ اللهِ، دَيْدَنٌ لهم وطبيعةٌ فيهم

الواوُ في قوله تعالى: ﴿وَتَذَرُونَ﴾ عاطفةٌ لجملتِها على ما قبلَها، أي: أتعبدونَ صنمًا، وتتركون الَّذي من شأنِه أن يُعبَدَ، وهو أحقُّ بالعبادة؟ فجمعَ بين عبادتِهم الصَّنمَ وترْكِهم لعبادةِ اللّهِ الحقِّ، وفي هذا تأكيدٌ لقُبحِ ما هم عليه من الضَّلال[2].

نُكْتَةُ التَّعبير بالمضارع ﴿وَتَذَرُونَ﴾:

التَّعبيرُ عن استمرارِ القومِ في تركِ عبادةِ اللهِ ﷻ

عبَّر النَّظمُ القرآنيُّ بالفعلِ المضارع ﴿وَتَذَرُونَ﴾ في قوله: ﴿وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾؛ للدَّلالةِ على اسْتمرارِ قومِ إلياسَ عليه السلام في تركِ عبادةِ اللّهِ وحدَه، وإيْغالِهم في الضَّلالِ، واسْتمرائِهمُ الكفرَ، وتهافتِهم في ما هم فيه من عبادةِ ذاك الصَّنم؛ لذلك قال لهم: "أَتَدْعونَ أيُّها الجاهلون بَعْلًا، أي: صنمًا مُسمًّى به، وترجعون نحوَه

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 16/ 284.
(2) البقاعيّ، نظم الدُّرر: 16/ 285.

في المُهمّات والملمّات، وتَذَرونَ أَحْسَنَ الخالِقينَ؟ أي: تتركون الدَّعوة والرُّجوعَ إلى الحقِّ الحقيق، بالإطاعة والانقياد المستحقِّ للعبوديَّة والرُّجوع إليه، في الخطوب والملمّات"[1].

بلاغةُ الطباق بين (تَدْعونَ) و(تَذَرونَ):

فعلُ المُنكرِ وتركُ المعروفِ انحرافٌ جَليٌّ عنِ الحَقِّ المألوف

لمّا كان قولُه تعالى: ﴿أَتَدْعُونَ﴾ بمعنى: تعبدون، وقولُه تعالى: ﴿وَتَذَرُونَ﴾ بمعنَى: تتركون؛ فُهِمَ من السّياقِ أنَّ عبادتَهم كانت لصَنم، وتَرْكَهم كان لعبادةِ اللّهِ الحقِّ، فَهُم يعبدون ما يجبُ عليهم تَرْكُهُ، ويتركونَ ما يجبُ عليهم عبادتُه، فالأوَّلُ: دليلُ الاهتمام، والثّاني: دليلُ الإهمال، فكان الطباق بين ذِكرِ النَّقيضَيْن دليلًا على انقلابِ المراد، في فِعْلِ القَبيح وتَرْكِ الحَسَن، وفي هذا الطباق تأكيدُ ضلالِهم، ومبالغةٌ في شدَّةِ انْحرافِهم عنِ الحقِّ[2].

غرضُ وصْفِ اللهِ تعالى بـ﴿أَحْسَنَ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾:

تسفيهُ عقولِ الَّذين عبدوا مَنْ له أقبحُ الصِّفات وأنقصُها

جاء في قوله تعالى: ﴿وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾ ذِكْرُ صفةِ اللّهِ تعالى دونَ اسْمِهِ العَلَم؛ تعريضًا بتَسْفيهِ عقولِ الَّذين عَبَدوا بَعْلًا، بأنَّهم تركوا عبادةَ الرَّبِّ المتَّصفِ بأحسنِ الصِّفاتِ وأكملِها، وعبدوا صنَمًا ذاتُهُ وحْشٌ، فكأنَّه قال: أتَدْعونَ صَنمًا بَشِعًا، جمعَ عُنصري الضَّعف، وهما: المخلوقيَّةُ وقُبحُ الصّورة، وتتركونَ مَنْ له صفةُ الخالقيَّةِ والصِّفاتُ الحُسْنَى[3].

صيغةُ ﴿أَحْسَنَ﴾ بين المفاضلةِ وسَلْبها:

لا مفاضلةَ بين الخالقِ والمخلوق

اللّهُ ﷻ هو المنعم على عبادِه، والعبادُ المحسنون على غيرِهم هم محسنون بإحسانِ اللّهِ إليهم أوَّلًا، ولأنَّ الإحسانَ أعمُّ من الإنعام، فيكون اللّهُ تعالى أحسنَ المحسنين، فهذه المفاضلةُ على وجهِها

(1) نعمة الله علوان، الفواتح الإلهيّة والمفاتح الغيبيّة: 2/ 221.
(2) البقاعيّ، نظم الدُّرر: 16/ 285.
(3) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 23/ 167.

الصَّحيح، وأمّا سلبُ المفاضلةِ؛ فهو معنًى مقبولٌ ومُتبادرٌ إلى الذِّهن على المبالغة في أنَّ اللّه تعالى أحسن الخالقين، لا على معنى أنَّ هنالك خالقًا غيره، وإنَّما المُراد بالمفاضلةِ المبالغةُ في إثبات حُسْنِ خَلْقِه، والتَّقدير: (فاللّهُ خالقُ كلِّ شيء، ولا خالقَ سواه)، قال تعالى: ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُۚ﴾ [النّحل: 17].

معنى (ال) في لفظ ﴿ٱلْخَٰلِقِينَ﴾:

جميعُ مَن يُعتقَدُ خالقيَّتُهم ليسوا كذلك بيقين

(ال) في قولِه تعالى: ﴿ٱلْخَٰلِقِينَ﴾ جنسيّة للاستغراق الحقيقيّ[1]؛ وذلك للتّأكيد والمبالغةِ في إنكارِ وجودِ خالِقين غيرِ اللّه تعالى، فمَن يحتاجُ في الإيجادِ والإعدام إلى أسبابٍ في إعدامِ ما يشاء وإيجادِ ما يريد، فلا يستحقُّ العبادة؛ لأنَّه ليس خالقًا على الحقيقة، إنَّما العبادةُ تكونُ لمَن لا يحتاجُ إلى أسبابٍ في الإيجادِ والإعدام، وفي هذا تنبيهٌ على عظيمِ غلطِهم في الفعلِ والتَّرك[2].

نُكْتَةُ وصفِ غيرِ اللهِ تعالى بالخَلْق:

بيانُ أنَّ إسناد صفةِ الخَلْقِ لغيرِ اللهِ، على سبيلِ المجازِ والتَّقدير

جاء وصفُ غيرِ اللّهِ تعالى بالخَلْقِ في قوله تعالى: ﴿وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾، مع أنَّه لا خالقَ إلّا اللّهُ ﷻ على معنَى التَّقدير، أي: أحسنَ المُقدِّرين[3]، ويمكن أن يكون هذا الوصف على تقدير ما كانوا يعتقدونَ، أو يزعمونَ أنَّ غيرَ اللّهِ يُبدع، أي: أحسنَ المُبدعين[4]، ويمكن أن يكونَ على تقدير: مَن يقالُ له خالق[5].

بلاغةُ القراءاتِ القرآنيَّةِ:

تذكيرُ القومِ بأنَّ من أصولِ الدّين، أنَّه لا ربَّ لهم إلّا ربُّ العالَمين

في قوله تعالى: ﴿ٱللَّهَ رَبَّكُمْ﴾ قراءتان متواترتان، الأولى: ﴿ٱللَّهَ رَبَّكُمْ﴾ بنصبِ الهاءِ والباء، وهي قراءة حفص وحمزة والكسّائي

(1) قباوة، المفصل، ص: 1607.
(2) البقاعيّ، نظم الدُّرر: 16/ 285.
(3) النَّسفيّ، مدارك التَّنزيل: 3/ 135.
(4) الرَّاغب، المفردات: (خلق).
(5) الشَّوكانيّ، فتح القدير: 4/ 539.

ويعقوب وخلف العاشر، والثّانية: ﴿ٱللَّهَ رَبُّكُمۡ﴾ برفعِ الهاءِ والباء، وهي قراءة الباقين[1]. والقراءةُ الأولى: على عطفِ البيانِ أو البَدَلِ أو الصِّفة لـ ﴿أَحۡسَنَ﴾، والمقصودُ من البيانِ زيادةُ التَّصريح؛ لأنَّ المقام مَقامُ إيضاحٍ لأصلِ الدّيانة، وأنَّ اللّهَ خالقُكم ورازقُكم. والقراءةُ الثّانية: على الابْتداء، والخبرُ مُستعمَلٌ في التَّنبيه على الخطأ بأن عَبَدوا بَعْلًا، وعلى كِلتا القراءتَيْن فالكلامُ مَسوقٌ لتذكيرِهم بأنَّ من أُصولِ دينِهم أنَّهم لا ربَّ لهم إلّا اللّه، وهذا أوَّلُ أصولِ الدّين، فإنَّه ربُّ آبائهمُ الَّذين لم يعبدوا إلّا اللّهَ من عهدِ إبراهيمَ ويعقوبَ ﷺ[2]، "قال النَّحّاس: وأولى ما قيل: إنَّه مبتدأٌ وخبر، بغير إضمار ولا حذف، وحُكيَ عن الأخفش: أنَّ الرَّفع أولى وأحسن، قال ابن الأنباريِّ: مَن رفع أو نصب؛ لم يقف على ﴿أَحۡسَنَ ٱلۡخَٰلِقِينَ﴾ على جهة التَّمام؛ لأنَّ لفظ الجلالة اللّهَ مُترجِم - أي بدل[3] - عن أحسن الخالقين على الوجهين جميعًا، والمعنى: أنَّه خالقُكم وخالقُ مَن قبلَكم، فهو الَّذي تحقُّ له العبادة"[4].

نُكْتَةُ عطفِ قولِه تعالى: ﴿وَرَبَّ ءَابَآئِكُمُ﴾:

لَمّا كان الموصوفون بالفعلِ والتَّركِ في غيرِ وجههما الصَّحيحِ، ربَّما أسندوا إيجادَهم إلى مَنْ قبلَهم غباوةً منهم أو عِنادًا، جاء العطفُ في قوله تعالى: ﴿وَرَبَّ ءَابَآئِكُمُ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾؛ لتأكيدِ حقيقةِ ربوبيَّةِ اللّهِ لهم ولمَن سبقَهم، بالخَلقِ والإيجادِ والتَّربية[5].

تأكيدُ ربوبيَّةِ اللهِ لهم ولآبائهم، مـبـيـنٌ لأصـل العقيدة الحَقَّة

وفي هذا العطف تأكيدٌ لإنكارِ تركِهم عبادتَه تعالى، والإشعارِ ببُطلانِ آراءِ آبائهم أيضًا[6].

(1) ابن الجزريّ، النَّشر: 2/ 360، والعكبريّ، إملاء ما منَّ به الرَّحمن: 2/ 207، والقاضي، الوافي، ص: 351.
(2) ابن خالويه، الحُجّة، ص: 304، ومكّي، الكشف: 2/ 228، 229، وابن عطيَّة، المحرَّر الوجيز: 4/ 485.
(3) هذا في اصطلاح الكوفيين، يُنظر: ابن السرّاج، الأصول في النحو: 2/ 189.
(4) القِنَّوجيّ، فتحُ البيان في مقاصد القرآن: 11/ 419.
(5) البقاعيّ، نظم الدُّرر: 16/ 285.
(6) أبو السُّعود، إرشاد العقل السَّليم: 4/ 548.

معنى (ال) في لفظ ﴿ٱلۡأَوَّلِينَ﴾:

(ال) في لفظ ﴿ٱلۡأَوَّلِينَ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَرَبَّ ءَابَآئِكُمُ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾ للاستغراق، أي: مَنْ هم أوَّلٌ لكم، فشَمَلَ ذلك آباءَهُمُ الأقربين، ومَن قبلَهم إلى آدمَ عليه السلام[1].

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

الدُّعاء والعِبادة:

بين الدُّعاءِ والعبادةِ عمومٌ وخصوصٌ وجهيٌّ

الدُّعاءُ: الرَّغبةُ إلى اللّهِ تعالى، وهو على وجهِ العموم، طلبٌ ممَّن هو فوقَ الدّاعي، والدُّعاءُ كالنِّداء، إلّا أنَّ النِّداءَ قد يقال بـ (يا) أو (أيا) ونحوِ ذلك، من غيرِ أن يُضَمَّ إليه الاسْم، والدُّعاءُ لا يكادُ يقالُ إلّا إذا كان معه الاسم، قال اللّه تعالى: ﴿قُلِ ٱدۡعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدۡعُواْ ٱلرَّحۡمَٰنَۖ أَيّٗا مَّا تَدۡعُواْ فَلَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ﴾ [الإسراء: 110]، والدُّعاءُ عبادة، قال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ﴾ [غافر: 60]، وأصلُ الدُّعاءِ طلبُ الفعل، مِن: دعا يدعو، ويكون هنا يدعو، أي: يعبُد، قال تعالى: ﴿وَمَن يَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرۡهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓۚ﴾ [المؤمنون: 117]، والدُّعاءُ إذا كان للّه تعالى؛ فهو مثلُ المسألةِ معه اسْتكانةٌ وخضوع، وإذا كان لغيرِ اللّهِ؛ جازَ أن يكونَ معه خضوع، وجاز ألّا يكون معه ذلك، ويُعدَّى هذا الضَّرْبُ من الدُّعاء بـ (إلى)، فيقال: دعاه إليه، وفي الضَّرب الأوَّل بالباء، فيقال: دعاهُ به، تقول: دعوتُ اللّهَ بكذا، ولا تقول: دعوتُه إليه؛ لأنَّ فيه معنى مطالبتِه به وقَوْدِه إليه، والدُّعاءُ يكونُ برفعِ الصَّوْتِ وخَفْضِه، يقال: دَعَوْتُ من بعيد، ودَعَوْت اللّهَ في نَفْسي[2].

وأمّا العبادةُ؛ فهي غايةُ الخضوع، ولا تُستَحقُّ إلّا بغايةِ الإنعام، ولهذا لا يجوزُ أن يُعبَدَ غيرُ اللّهِ تعالى، ولا تكونُ العبادةُ إلّا مع المعرفةِ

(1) البقاعيّ، نظم الدُّرر: 16/ 286.

(2) العسكريّ، الفروق، ص: 231، 495، 534، وابن فارس، مقاييس اللُّغة، والرَّاغب، المفردات: (دعا).

بالمعبود، ولا تكونُ إلّا للخالق، والعُبوديَّةُ: إظهارُ التَّذلُّل، والعبادةُ أبلَغُ منها؛ لأنَّها غايةُ التَّذلُّل، وهي لا تكون إلّا لله، ولهذا قال تعالى: ﴿أَمَرَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُۚ﴾ [يوسف: 40][1].

يذرون ويتركون:

يـشـتـركـان في الانـصـراف عـن الـشَّيء، والأوَّلُ في الـشَّيء الَّـذي لا يُعتدُّ به

وذَرَ الشَّيءَ: تَركَهُ، ويَذَرُهُ: يَدَعُهُ، وذَرْهُ: دَعْهُ، ويقال: فلانٌ يَذَرُ الشَّيءَ، أي: يَقْذِفُه لقلَّةِ اعْتدادِه به، ولذلك سُمّيتِ الوَذَرَةُ - وهي قطعةٌ من اللَّحم - بذلك الاسمِ لقلَّة الاعتدادِ بها، وقال تعالى: ﴿وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَۚ﴾ [الأعراف: 127][2].

وأمّا التَّرك؛ فهو تخليفُ الشَّيءِ في المكانِ الَّذي هو فيه، والانْصرافُ عنه، ولهذا يُسمّون بيضةَ النَّعامةِ - إذا خرجَ فرخُها - تَريكة؛ لأنَّ النَّعامةَ تنصرفُ عنها، وترْكُ الشَّيءِ: رفْضُه قصدًا واخْتيارًا، أو قَهْرًا واضطرارًا، فمِن الأوَّل قولُه تعالى: ﴿وَٱتۡرُكِ ٱلۡبَحۡرَ رَهۡوًاۖ﴾ [الدُّخان: 24]، ومن الثّاني: قولُه تعالى: ﴿كَمۡ تَرَكُواْ مِن جَنَّٰتٖ وَعُيُونٖ ٢٥﴾ [الدُّخان: 25]، ومِنه يقالُ: تَرِكَةُ فلانٍ، لما يُخَلِّفُه بعد موتِه، وقد يقالُ في كلِّ فعلٍ يُنتَهى به إلى حالةٍ ما: تركتُه كذا، أو يجري مجرَى جعلتُه كذا، نحو: تركتُ فلانًا وحيدًا[3].

(1) العسكريّ، الفروق، ص: 349، 543، والرّاغب، المفردات: (عبد).
(2) الرّاغب، المفردات، والفيروزابادي، القاموس: (وَذَرَ).
(3) العسكريّ، الفروق، ص: 123، والرّاغب، المفردات، والفيروزابادي، القاموس: (تَرَكَ).

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثامن والأربعون،
سورة يس من الآية 51 إلى سورة الصّافّات الآية 144
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثامن والأربعون، سورة يس من الآية 51 إلى سورة الصّافّات الآية 144
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 48 ، 810 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-641-07-0
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 48 : المجلد الثامن والأربعون، سورة يس من الآية 51 إلى سورة الصّافّات الآية 144.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-641-07-0
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-1101030 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»